دور آل كوبرلو في إصلاح أوضاع الدولة العثمانية (1656 - 1702م)

م.د. نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي
كلية الآداب - جامعة الموصل

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (23-24/أيار/2007)

ملخص البحث :

بذل آل كوبرلو جهداً في إيقاف عوامل الانحلال في الدولة العثمانية حيناً من الزمن ، عندما تولى محمد كوبرلو وابناءه الصدارة العظمى في الدولة العثمانية في وقت كانت الدولة تعيش فيه ظروفاً داخلية وخارجية بالغة الصعوبة ، فقد تولى عرش آل عثمان السلطان محمد الرابع (1648 . 1687) ولم يتجاوز عمره سبع سنوات فأصبحت جدته السلطانة (ماه بيكر) نائبة للسلطنة التي كانت لها سلطات واسعة إلى جانب تحالفها مع القوة الأهم في الدولة وهي القوة الانكشارية ، مما جعل الدولة عرضة للتقلبات السياسية والحربية ، وكان نتيجة ذلك أن لحقت الهزائم بالأسطول العثماني أمام أسطول البندقية الذي أحتل جزر عثمانية في البحر المتوسط ، كما واجهت الدولة تمردات الفرسان (السباهية) ، فضلاً عن اشتداد الخلافات بين السلطانة (ماه بيكر) جدة السلطان محمد الرابع ووالدته السلطانة (خديجة تارخان) على نيابة السلطنة ، إذ أرادت الجدة قتل حفيدها السلطان محمد الرابع لابعاد والدته خديجة تارخان عن نيابة السلطنة ، فاكتشفت خديجة تارخان المؤامرة فدبرت مؤامرة مضادة قتلت فيها السلطانة (ماه بيكر) في سنة 1651م ليحسم الصراع لصالح خديجة تارخان ، كما اضطربت أحوال الأناضول نتيجة الثورات المستمرة فيها بسبب الأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد ، فاختل النظام وتأزم الوضع حتى أصبحت الدولة في مهب الريح ، ولم ينقذها مؤقتاً سوى الجهود التي بذلتها أسرة كوبرلو.

أمام هذه الأوضاع المتردية للدولة أسندت خديجة تارخان الصدارة العظمى إلى محمد باشا كوبرلو الذي تعهد لها بقمع الفساد الداخلي وفتح المضايق وإنقاذ استانبول ، وفي المقابل اشترط على السلطانة خديجة تارخان أن يكون مستقلاً في إدارته للدولة ، وأن تطلق يده في اختيار شاغلي المناصب الحكومية ومنحه سلطات واسعة، وعدم الاستماع إلى الوشايات ضده، فوافقت السلطانة على تلك الشروط ، كما أنها انسحبت من الحياة السياسية للدولة على الرغم من كفاءتها وذكائها ، لاسيما أنها شخصت الأضرار التي تكبدتها الدولة بسبب تدخل والدة زوجها (ماه بيكر) في السياسة وعملت كل ما بوسعها لمنع تدخل نساء السراي في السياسة ، وبانسحابها من السياسة انتهى الدور المسمى (سلطنة النساء) ليبدأ دور آل كوبرلو (1656 .

1702م) الـذين انتهجـوا سياسـة إصـلاحية هـدفت إلـى انتشـال الدولـة العثمانيـة مـن أوضـاعها المتردية ، وكـان لعميد هذه الأسرة ممد باشا كوبرلو دوراً كبيراً في هذا الإصـلاح ، إذ أثبت أنـه رجل مرَّ بتجارب كثيرة وخبر أمور الدهر وصدماته ، وكسب معرفة في فن الإدارة والسياسة ، فقام هو وأبناءه بأعباء الدولة خير قيام ، واستأصلوا المفاسد من الجيش والحكومة، وبذلك أنقذوا الدولة وأوقفوا عوامل الانحلال لمدة نصف قرن.

Kuperlus Family Made Every Effort to Reform Ottoman State (1656-1702)

Lecturer
Dr. Nosaeba A. Al-Haj Allawy
College of Art -University of Mosul

Abstract:

Kuperlus Family made every effort to reform ottoman state (1656-1702) , which helped to stop the weakness of the state for atime . Mohammed pash kuperlu has taken the first place in the ottoman state , which lives a very difficult circumstance on the internal and external standard .

So that he did his best in the stats functions, put an end to the corruptions in the state, made massive reforms in different fields of state especially the military constitute. He also worked together with the sultana khadijah Tarkhan to terminate the women's power and their continuos intrusions in the state, which made it reaches its fall.

His sons who descends him in the first place , able to continue his reformatory direction , Despite , some cessation in the reformatory process especially when the persons who had taken the first place weren't like their ability which made the reformatory process Late and reduced its advantage .

تمهيد

تولى السلطنة محمد الرابع (1648-1687م) أبن إبراهيم ولم يتجاوز من العمر سبع سنوات ، فأصبحت جدته السلطانة (ماه بيكر) نائبة السلطنة ، وكانت لها سلطات واسعة إلى جانب الإنكشارية[1]، مما جعل الدولة عرضة للتقلبات السياسية والحربية وكان نتيجة ذلك أن لحقت الهزائم بالأسطول العثماني أمام أسطول البندقية الذي أحتل بوزجه اطه ولمنوس، خارج المضايق العثمانية[2].

وفي الداخل واجهت الدولة العثمانية تمردات قوات الفرسان (السباهية) الذين تجمعوا للحصول على الهبات بمناسبة جلوس السلطان محمد الرابع واستغلوا فرصة وجودهم في استانبول للمطالبة برأس الصدر الأعظم صوفي محمد باشا (1648-1649م) وشيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي[3] ، ولما كان الصدر الأعظم متفقاً مع الإنكشارية تمكن من التنكيل بالسباهية وقتل في سنة 1058هـ/1648م حوالي (300) شخصاً[4]، إلاّ أنّ الاضطرابات لم تهدأ لأن العلاقة ساءت بين الصدر الأعظم والإنكشارية وأدت إلى تبدلات عديدة في الصدور العظام ، مما أدى إلى إرباك أمور الدولة[5].

كما اشتدت الخلافات بين السلطانه كوسم (ماه بيكر) جدة السلطان محمد الرابع ، ووالدته السلطانة خديجة تارخان على نيابة السلطنة ، فقد أرادت السلطانة (ماه بيكر) كسر شوكة السلطانة تارخان والدة السلطان محمد الرابع من خلال قتل حفيدها السلطان الذي لم يكمل بعد الـ (10) سنوات وإحلال ولي العهد الأمير سليمان من أم أخرى ، إلاّ أنّ السلطانه تارخان اكتشفت المؤامرة ، مما أدى إلى قتل السلطانة (ماه بيكر) في 1651م فحسم الصراع لصالح خديجة تارخان[6].

وفي الوقت نفسه كانت الأحوال مضطربة في الأناضول ، فقد ثار بربر علي في سيواس عام 1057هـ/1647م وفي عام 1059هـ/1649م قامت ثورة قادها رجلان أحدهما يدعى قاطرجي اوغلي والثاني كورجي يني واستطاعا أن يتغلبا على والي الأناضول أحمد باشا ثم وقع الخلاف بينهما فقتل (قاطرجي اوغلي) (كورجي يني) ونال لقاء ذلك العفو وعين والياً على قرمان ، ثم توالت الثورات في البلاد واختل النظام وتأزم الوضع حتى أصبحت الدولة في مهب الريح[7]، ولم ينقذها مؤقتاً سوى الجهود التي بذلتها أسرة كوبرلو[8].

- تسلم محمد باشا كوبرلو الصدارة العظمى

كانت والدة السلطان محمد الرابع خديجة تارخان ، قلقة بسبب الظروف التي تمر بها الدولة ، وكانت تبحث عن شخص مناسب وقادر على إخراج الدولة من هذا المأزق ، وقد فالتقت بالكثير من الباشوات الذين أدركوا خطورة الوضع لذلك لم يتعهدوا لها بإنقاذ الموقف، وحده محمد

باشا كوبرلو الذي تعهد لها بقمع الفساد الداخلي وفتح المضائق وإنقاذ استانبول ومساعدة العساكر في كريت[9]، وفعلاً استطاع هو ومن بعده أبناؤه ، أن يقودوا الدولة بنجاح لما يقرب من الخمسين سنة[10]، ويذكر أن رئيس المعماريين في القصر قاسم آغا هو الذي أوصى والدة السلطان باختيار محمد باشا كوبرلو نظراً لاقتداره وكفاءته[11]، وبسبب هذا التوجيه قام الصدر الأعظم حينئذٍ كورجي محمد باشا بعزل معمار قاسم آغا ومصادرة أمواله ونفيه إلى قبرص ، إلاّ أن قاسم آغا استطاع العودة إلى استانبول بعد أن حصل على عفو من السلطان محمد الرابع ورتب الأمور مع بعض شخصيات الدولة ووالدة السلطان لتولية محمد كوبرلو الصدارة العظمى[12].

وبتولي محمد كوبرلو انسحبت السلطانة الوالدة تارخان من الحياة السياسية للدولة، على الرغم من أنها لا تقل ذكاءً عن والدة زوجها السلطانة كوسم (ماه بيكر) لكنها لم تصرف ذكاءها مثلها في الشر والأمور الشخصية بل صرفتها إلى الخير وفي صالح الدولة، شخصت الأضرار التي تكبدتها الدولة بسبب تدخل والدة زوجها في السياسة وعملت كل ما بوسعها لمنع تدخل نساء السراي في السياسة[13]، رغم أنها قضت خمس سنوات و(12) يوماً في منصب نيابة السلطنة ، وقد كان عمرها في ذلك الحين (29) سنة ، إلاّ أن صفتها (السلطانة الوالدة) استمرت (24) سنة و(10) أشهر وهي أطول مدة لصفة السلطانة الوالدة في التاريخ العثماني[14].

وبانسحابها انتهى الدور المسمى في التاريخ العثماني(حريم سلطنتي) أي سلطنة النساء والتي كانت تظهر بين فترة وأخرى خلال الفترة الزمنية المنحصرة بين عهد السلطانة خرم (روكسلانه) زوجة السلطان سليمان القانوني وعام 1656م تاريخ انسحاب السلطانة تارخان من النيابة [15]، ويبدأ دور آل كوبرلو في التاريخ العثماني بين ، الذين انتهجوا سياسة إصلاحية هدفت إلى انتشال الدولة العثمانية من أوضاعها المتردية ، ومن الجدير بالذكر أن وزراء هذه الأسرة قد تأثروا إلى حد بعيد بالأفكار التي طرحها قوجي بك والتي دعا فيها إلى العودة إلى النظم العثمانية القديمة لمعالجة الخلل ، وآمن آل كوبرلو بهذه الأفكار فانتعشت الدولة إلى حين لكنها عادت واستغرقت في نومها العميق[16]، إذ لم يتوفر لها بعد عائلة كوبرلو من يقوم بالإصلاح في ذلك الاتجاه التقليدي ، فقد شهد القرن الثامن عشر توجهاً للإصلاح على أساس أوربي.

إنَّ أول من تولى منصب الصدارة العظمى من هذه الأسرة هو محمد باشا كوبرلو (1656-1661م) ، الذي ولد في قرية (وزير كوبريسي) في سنجق أماسيا في الأناضول عام (991هـ/1583م) وهو الباني الأصل بإجماع أغلب المؤرخين ، والده من الارناؤوط (البانيا) إلا أنه استقر في قرية (وزير كوبريسي)[17]، ثم انتقل إلى استانبول وانتسب إلى السراي ، وكان أحد أفراد ضريبة الغلمان (الدوشرمه) لكنه لم يلبث أن انتقل من الخدمة الدنيا في البلاط إلى خدمة

الدولة[18]، فقد عمل أول الأمر في دائرة المطبخ لبعض الوقت ، إذ كان طباخاً في سراي السلطان وبقي يترقى في المناصب ، ويذكر أنه التحق بالخدمة العسكرية بقوة حراسة قرية وزيركوبريسي التي اتخذ منها اسمه[19]، كما عمل لدى الصدر الأعظم خسرو باشا في عهد السلطان مراد الرابع بصفة (خزينة دار) ثم تقدم وترقى شيئاً فشيئاً[20].

تقلد محمد باشا كوبرلو عدداً من الوظائف الإدارية ، فقد اصبح والياً على دمشق وطرابلس والشام ، ليعود بعد ذلك إلى العاصمة ليكون وزير قبه[21]، وبعد أن تولى زمام الأمور في الدولة العثمانية عام 1067هـ/1656م انتهج سياسة إصلاحية رصينة سار فيها على نهج السلطان مراد الرابع ، فقد اقتدى بشخصيته لكنه لم تكن لديه الثقة العالية التي كانت لدى السلطان مراد الرابع، وتمكن من تطبيق سياسة الشدة التي اشتهر بها مراد الرابع فحسب، وكان قد تولى زمام الأمور بعد أن بلغ من العمر سبعين سنة[22]، ولم يكن حتى ذلك الحين معروفاً لدى الدولة ، كما كان تحصيله العلمي قليلاً ، فلم يكن يعرف القراءة والكتابة[23]، فضلاً عن أن إمكانياته المالية ضعيفة بل يقال انه لم يكن موفقاً في ماضيه العسكري ، فقد سبق تكليفه في قيادة حملة تأديبية في الأناضول ضد والي سيواس علي باشا ، لكنه فشل بل سقط أسيراً في يده ولهذا فان تعيينه لمنصب الصدارة العظمى لم يلاق استحساناً من جانب العلماء ولا العسكر ، واعتقدوا أنه سيبقى في المنصب لبعض الوقت مثل أسلافه من الصدور العظام[24]، إلاّ أنه أثبت قدرة ودهاءً وتمكن من إنقاذ الدولة من شفا هاوية حتى أن بعض المؤرخين شبه عهد آل كوبرلو بعهد القانوني ، وعدَّ آخرون أن تولي محمد باشا كوبرلو للصدارة العظمى مؤشراً على بدء النهضة في الدولة العثمانية[25].

وبما أن أعمال الصدر الأعظم كانت تتعرقل بسبب تدخلات مراكز النفوذ في الدولة المتمثلة بالقصر السلطاني والإنكشارية ، فقد اشترط محمد كوبرلو قبل أن يوافق على تولي الأمور عدة شروط منها أن يكون مستقلاً في إدارته للدولة ، وان تطلق يده في اختيار شاغلي المناصب الحكومية ومنحه سلطات واسعة في الضرب على أيدي أعداء الدولة في الداخل والخارج على السواء وعدم الاستماع إلى الوشايات التي يروجها المرجفون ابتغاء النيل من تصرفاته ، وأن تنفذ كل طلباته التي يقدمها إلى السلطان وعدم الإلحاح عليه في مسألة تعيين أي شخص في مناصب الدولة[26].

وقد دهشت نائبة السلطنة عندما وضع الوزير الكهل شروطاً لقبوله الصدارة ، إذ لم يسبق في النظام العثماني أن يقدم وزيراً شروطاً لقبوله الصدارة ، وقد تمكن الوزير الكهل من إقناع نائبة السلطنة بأنه سوف لن يتمكن من أداء الخدمات المنتظرة للدولة إذا ما تولى منصب الصدارة العظمى دون أن يعطى صلاحيات مطلقة[27].

حكم كوبرلو البلاد بيد من حديد ، وأثبت أنه رجل مرَّ بتجارب كثيرة وخبرَ أمور الدهر وصدماته وكسب معرفة في فن الإدارة السياسية[28]، وأول ما بدأ عمله عزل الشخص الذي كان سبب توليته الصدارة العظمى وهو (معمار قاسم آغا) ونفاه إلى قبرص وقال كوبرلو: " من قدر على التولية قدر على العزل "[29]، وقد استعمل أسلوب الترهيب لأخافة أعدائه[30]، فكانت أولى إجراءاته قتل الأشخاص الذين كانوا وراء الخلل والاضطراب في الدولة ونفيهم[31].

وحينما بدأ رجال القصر بعد فترة قصيرة من توليه الصدارة العظمى بالتدخل في شؤون الحكومة قام محمد كوبرلو بإحالة الشخص الذي يقف على رأس هؤلاء ويمارس نفوذاً على السلطان وهو خليل آغا على التقاعد، وعين بدلاً منه آغا سراي غلطه المدعو صفر آغا، وبعد ذلك استدعى احمد باشا أباظه المسؤول عن خسارة جزيرة (بوزجه) Bozcaada –والتي احتلها البنادقة– إلى استانبول وقام بإعدامه ، ونظراً لإعدام احمد باشا وهو من المقربين للسلطانة الوالدة ، أخذ رجال البلاط يعملون سراً على التخطيط لعزله[32]، كما انه أبعد العديد من المشايخ والدراويش المتزمتين ، وكان هؤلاء قد أثاروا المشاكل للدولة ، وتمكن محمد كوبرلو بمساعدة بعض العلماء من عرض الأمر على السلطان وأفلح في الحصول على أمر بإعدام المفسدين منهم ، إلا أنه لم يقم بإعدامهم بل نفاهم إلى قبرص ، كما أنه ضيق الخناق على المتشددين وتبنى نظام المبادءة ، فكان كلما تحصل فتنة أو تمرد ينظر فيه مباشرة وبسرعة يقوم بإجراء ما يقتضيه الأمر[33].

وكان رجال البلاط الحانقون على محمد كوبرلو قد أثاروا له مشاكل عديدة ليثبتوا عجزه عن إدارة شؤون الدولة ، وأخذوا يعملون سراً على التخطيط لعزله وقرروا تنصيب قبطان البحر (سيدي احمد باشا) صدراً أعظماً وحصلوا على وعد منه بذلك ، إلا أن كوبرلو علم بالأمر فأسرع بتعيين (سيدي احمد باشا) والياً على البوسنة ليبعده عن استانبول[34]، وكان ذلك في كانون الأول 1656م ، وعين محله والي طمشوار السابق محمد طوبال باشا[35]، كما تمرد السباهية (الفرسان) الذين أثاروا الفساد وطالبوا بإعطاء الصدارة العظمى للقبودان (سيدي احمد باشا) وبحجة عدم أخذ الرواتب قاموا بقذف بيت الدفتردار محمد باشا ديغركلي بالحجارة ، فهرب الدفتردار ، وجاء إلى محمد باشا كوبرلو ، واشتكى له ، من الأمر ولم يمض وقت طويل حتى أعفاه من منصبه وقد علم كوبرلو أن ذلك الأمر حدث بتحريض رجال السراي[36] ، ومن أجل القضاء على هذا التمرد قام محمد كوبرلو بإجراءات عديدة منها أنه حاول كسب مراكز القوى إلى جانبه وكان في ذلك الوقت شيخ الإسلام (بالي زاده مصطفى أفندي)[37]، وكذلك اتصل بآغا الإنكشارية (حسين آغا قره حسن اوغلو) وطرح عليهم قضية (سيدي احمد باشا) فوعدوه بالمساعدة ، وفعلاً تمكن من القضاء على السباهية وقتل أغواتهم وجميع المتمردين في استانبول واسكودار[38].

وكان عصيان (أباظه حسن باشا) ، الذي اتخذ من بروسه (بورصه) مقراً له ، قد بلغ حداً خطيراً في الأناضول واستطاع أن يكسب تأييد الناس بوعود في الإصلاح الاقتصادي والإجتماعي ، فأرسل محمد كوبرلو قوة كبيرة نجحت في سحق التمرد بعد قتال دامٍ في عام 1068هـ/1658م[39]، وقد أعدم الكثير من المتمردين وأرسلت إحدى وثلاثون رأساً إلى استانبول ومن بينها رأس أباظه حسن باشا وأربع باشوات لتعرض على الناس[40]، ويمكن القول إن تمردات الجلالية انتهت منذ ذلك الحين[41].

فضلاً عن إجراءاته في فرض الأمن والنظام والقضاء على التمردات ، فأنه بذل جهوداً كبيرة من أجل إصلاح مالية الدولة ، فعندما تولى الصدارة العظمى ، كانت خزينة الدولة تعاني من ضائقة مالية ، ولذا قرر محمد باشا كوبرلو تدقيق جميع الوظائف وأصحابها والسيطرة عليها ، وقد طلب من الأغنياء أن يقرضوا الدولة ، كما انه كان يأخذ أموالاً من خزينة السلطان الخاصة على سبيل القرض وشن حملة جديدة ضد الفساد وجباية الضرائب أكثر من حدها المقرر ووضع حداً لإسراف الحريم[42]، وقام بتخفيض المخصصات غير مبالٍ بنفوذ أصحابها ، فقد قطع جزءاً من راتب شيخ الإسلام (سالم مغربي)[43]، إذ خفض يوميته من (1000) اقجة إلى (70) اقجة فقط ، وعندما راجع (سالم مغربي) الصدر الأعظم محمد كوبرلو وتحدث معه بفظاظة قام محمد كوبرلو بإعدامه دون الرجوع إلى السراي[44]، كما قطع راتباً من الأشخاص الذين يستلمون راتبين من مكانين، كما قطع رواتب العاملين في الكمرك من الذين يساعدهم وضعهم العمل مع أصحاب رؤوس الأموال واتخذ إجراءات أخرى لتنظيم الوظائف لغرض تخفيف الطلب على الخزانة[45].

ومن ملاحظة ميزانية عام 1071هـ/1660م نجد أن محمد كوبرلو استطاع أن ينعش مالية الدولة إذ ترك عجزاً لا يكاد يذكر بعد أن عانت الدولة من عجز كبير قبل تسلمه الصدارة العظمى وفي هذه السنة (أي : 1660م) كانت العوائد تقدر بـ (14531) كيساً ، بينما الإنفاق بلغ (14840) كيساً[46].

كما حاول الحد من المعارضة داخل الجيش ، فأعدم آغا الإنكشارية (علي آغا) الذي كان يحرض الجند على العصيان وقضى على تمرد محتمل الحدوث ، فقد اتفق (احتساب آغاسي) أي محتسب استانبول (نقاش حسن) ومحافظ استانبول مع كتخدا السلحدار مصطفى في أدرنه لأجل إثارة السباهية ضد الصدر الأعظم ، فاصدر الصدر الأعظم الذي علم بالأمر أوامره إلى آغا الإنكشارية بالقضاء على القائمين بالتمرد[47].

ولم يكن شيوخ الإسلام بمنأى عن إجراءات محمد كوبرلو الصارمة ، فقد عزل شيخ الإسلام بولوي مصطفى أفندي لأنه لم يصدر الفتوى التي تتيح له قتل السردار حسين باشا دلي[48]، قائد الجيش العثماني في كريت[49]، كما أنه لم يتردد في إعدام بطريك الروم بارتينيوس

الثالث (Partenios) الذي أجرى أتصالات مع حكام الافلاق والبغدان (رومانيا الحالية) المرتبطين بالكنيسة الأرثوذكسية وحرضهم على العصيان ضد الدولة العثمانية[50] ، وقد صلب البطريك في آذار/1657م ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح البطاركة يباشرون مهامهم من الصدر الأعظم وليس السلطان واستمر ذلك حتى عهد التنظيمات[51].

كما أنشأ القلاع والأبراج على الدردنيل وعمّرها ، وشدد قبضة الدولة فيما وراء البحر الأسود ، وبنى القلاع على نهري الدنيبر والدون ، وأنشأ في أوكرانيا القلعة المسماة بـ (سد الإسلام) أو(دوغان كجيدي) وأراد من بنائها منع الروس من الدخول إلى أوكرانيا والقفقاس الشمالية[52]، كما أقام استحكامات جديدة على حدود أردل (ترانسلفانيا) مع النمسا[53]، وأبدى همة عالية في الإنفاق على الاحتياجات العسكرية ، وبعد خسارة الأسطول العثماني أمام البنادقة بدأ بتوجيه الاهتمام إلى بناء السفن من جديد وترتيب العسكر[54].

كما كانت له أعمال عمرانية منها الخان المعروف باسمه في طريق استانبول بين اسكي شهر وازنيق ، كما انشأ الكثير من الأبنية الخيرية في أنحاء الدولة العثمانية وقام ببناء مدرسة ومكتبة وحمام ومدفن[55].

أما على المستوى الخارجي ، فقد استغل البنادقة الاضطرابات التي سادت الدولة العثمانية وهاجموها واحتلوا بعض الجزر ، لهذا أراد محمد كوبرلو تأديبهم ، فوضع الأسطول تحت قيادة محمد طوبال باشا وأعد قوة عسكرية نجحت في إجبار البنادقة على رفع الحصار المفروض على مدخل الدردنيل في تموز/1657م وبالتالي استرداد ما سيطرت عليه البندقية من ثغور فضلاً عن جزيرتي لمنوس وتندوس ، كما قتل فيها قبطان البنادقة نفسه[56].

ولم يقتصر محمد كوبرلو على تحرير الدردنيل فقط وانما جعل البحرية العثمانية تستعيد سيطرتها في بحر إيجه ، بحيث أصبح بالإمكان إرسال الإمدادات إلى جزيرة كريت، وعند دخوله إلى الدردنيل أمر ببناء قلعتين كبيرتين هما (سد البحر Seddulbahr) و(كومكاله Kumkale) لحماية المضيق من الهجمات في المستقبل [57].

كما أدب فرنسا على موقفها من الدولة العثمانية ، فقد استجابت لدعوة البابا الرامية إلى الاشتراك في حملة عسكرية لإخراج العثمانيين من جزيرة كريت ، مما أدى إلى تدهور العلاقة لفترة من الزمن[58]، لا سيما أن محمد كوبرلو استقدم ابن السفير الفرنسي وجلده وسجنه وزج السفير الفرنسي نفسه في السجن ، وعندما أرسلت فرنسا مبعوثاً للاحتجاج منعه من مقابلة السلطان[59].

كانت الانتصارات التي أحرزها محمد كوبرلو على البندقية لا سيما مقتل قائد الأسطول البندقي ، الذي افتتح محمد كوبرلو عهده به بمثابة فأل خير بالنسبة للعثمانيين[60].

أما من جهة النمسا ، فقد تجدد الصراع معها بعد حرب الثلاثين عاماً (1618. 1648م) حول أردل (ترانسلفانيا) والتي كانت تشكل عنصراً للتوازن مع النمسا ومثّلَ ذلك نجاحاً للعثمانيين ، إلا انه وبسبب ضعف الدولة العثمانية فإن سيطرتها على ترانسلفانيا قد ضعفت بعض الشيء ، وقد حاول الأمير جيورجي راكوزي(1648-1660م) أن يتمرد على الدولة العثمانية[61]، ويتبع سياسة مستقلة ، وفي سنة 1069هـ/1658م قاد محمد كوبرلو حملة ناجحة في ترانسلفانيا ، أقصى جيورجي راكوزي وأقام مكانه الأمير ميخال (ابافي)[62]، وشرط عليه أن يدفع كل سنة (40,000) ألف دوكا ، وقد كانت في السابق (15,000) دوكا، ثم تحالف جيورجي راكوزي مع أمير الأفلاق وأثار المشاكل للدولة العثمانية فعاد إليهما محمد كوبرلو وانتصر عليهما[63].

وهكذا عمل كوبرلو على تأكيد سلطة الدولة في الداخل والخارج وأخذت الحياة السياسية شكلاً جديداً وتدعمت الموارد المالية ودخل العثمانيون مع تلك الجهود مرحلة إحياء جديدة ، فكانت له هيبة كبيرة في نفوس الحكام والولاة فضلاً عن رقابته لهم حتى لو كانوا في ابعد أطراف الدولة[64]، وكان شخصاً فائق الشجاعة أظهر صلابة في حالات عديدة كانت نهايته فيها وشيكة لكنه استطاع أن يتغلب في النهاية ، وكان يرى أن الدولة بإمكانياتها ومواردها قادرة على إلحاق الهزيمة مرة أخرى بأعدائها[65]، وفعلاً تمكن من خلال السياسة الحازمة إعادة هيبة الدولة . من جديد . في عيون أعدائها.

وعلى الرغم من أنه كان يفتقر إلى الثقافة التي يجب أن يتحلى بها الصدور العظام والوزراء ، إلا انه كان ذكياً له خبرة بالأمور ودراية بطرق الإدارة وعيوبها[66]، وقد أثبتت إنجازاته تلك أن الدولة قادرة على تجاوز أشد الصعوبات إذا تولى مناصب الدولة رجال أكفاء.

وقد أشارت المصادر أنه قتل في مسعاه لتوطيد الاستقرار في البلاد سته وثلاثين ألف شخص وبأن هذه الدماء أعادت النظام إلى صفوف الجيش والأمن إلى البلاد والنزاهة إلى أجهزة الدولة وأصبح شعار الجميع احترام القانون والتفاني في خدمة الدولة بكل إخلاص[67]، وعلى الرغم من إيراد أعداد أخرى مبالغ فيها حول عدد القتلى في مصادر أخرى[68]، إلا أنها تعطي صورة عن أسلوب الصرامة والقوة الذي اتبعه محمد باشا كوبرلو في إدارة الدولة.

لما اشتدت وطأة المرض على محمد باشا كوبرلو وشعر بدنو أجله قدم نصائحه للسلطان محمد الرابع ، فقد طلب من السلطان أن لا يصغي أبداً إلى النساء وأن يملأ خزانة الدولة بكل الوسائل الممكنة[69]، ويبدو هذا طبيعياً لأن كوبرلو محمد باشا أدرك أن تدخل النساء في شؤون الدولة كان وراء الانحلال الذي تعانيه ، كما أدرك أن الاقتصاد عامل أساس في ترصين قوة الدولة ، كما طلب منه أن لا يعهد بالمناصب الحساسة إلى رجل غني وأن يجعل الجيش في حروب مستمرة ، ولما سأله السلطان عن الشخص الذي ينصح بتعيينه صدراً أعظماً خلفاً له

أجاب بقوله : " إني لا أعرف أحداً أكثر مقدرة وكفاية من أبني أحمد " [70]، وقد توفي محمد باشا كوبرلو في ادرنه في عام 1072هـ/1661م ونقل إلى استانبول ودفن قرب مسجده[71].

تولى فاضل احمد باشا كوبرلو (1661-1676م) بعد أبيه الصدارة العظمى وذلك حسب توصية والده وهو في السابعة والعشرين من العمر ، وكان كأبيه في الذكاء والحذق[72]، وقد عُني أبوه بتحصيله الدراسي عناية فائقة ، فقد تخرج من القسم العالي لمدرسة استانبول ، كما أنه تعلم من والده ما لم يتعلمه أبوه من أحد وكان في التنظيم الإداري بارعاً لا يبارى ، ولكنه كان في ميدان الحروب قائداً غير دائم التوفيق[73]، وقد كان واحداً من أفضل الوزراء بعد صوقللي محمد باشا الذي تولى الصدارة العظمى طيلة حكم ثلاثة سلاطين (1565- 1579م) ، واستطاع بمزاياه العلمية والشخصية أن يضمن الاستقرار في الداخل وإصلاح الأوضاع الخارجية ، وقد سار على خطى والده في السياسة الداخلية والخارجية وأدار الأمور باستقلالية كوالده ولمدة (15) سنة[74].

شغل أحمد باشا كوبرلو ، قبل أن يتولى الصدارة العظمى ، منصب حاكم دمشق وبذلك اكتسب خبرات إدارية وعمل بطرق ووسائل أقل عنفاً وشدة من أبيه[75]، لا سيما أن أباه قد بذل جهوداً في إعادة النظام لذلك شرع يحكم باللين والحكمة[76]، فهو لم يكن بحاجة إلى اتباع سياسة والده الشديدة.

كان غالباً ما يستخدم التفاوض وحتى التسوية لمعالجة شؤون الدولة ، واكسبه سلوكه هذا وتواضعه احترام الجميع واستطاع أن يقضي على الفساد ، وعامل أهل الذمة معاملة جيدة وحافظ على حقوقهم ، وعلى الرغم من حملاته العسكرية إلا أن الميزانية لم تكن تعاني من عجز[77]، وتشير المصادر إلى أنه قام بإلغاء نظام (الدوشرمه) في عام 1086هـ/1675م مما أدى إلى انخراط أبناء الانكشارية وغيرهم من المسلمين الأحرار في سلك الإنكشارية[78].

أراد فاضل أحمد باشا أن يحيي عهد الفتح فأعلن الحرب على النمسا في 12نيسان 1663م على أثر إنشائها خلافاً لمعاهدة ستيفاتورك 1015هـ/1606م ، قلعة Seriuwar (يني قلعة) على الحدود مقابل قلعة عثمانية ، ورفضها هدمها رغم احتجاج الدولة العثمانية[79]، وهو ما يعني عدم اعتراف النمسا بسلطة الدولة العثمانية في ترانسلفانيا ، وكان البابا الكسندر السابع (Alexander VII) الذي تولى البابوية (1655-1667م) قد دعا إلى تحالف صليبي من جديد فلبت الدول الأوربية الدعوة بما فيها فرنسا لمواجهة حشد الدولة العثمانية[80]، وعندما وصل القائد الأوربي مونتي كوكولي لمواجهة العثمانيين في سانت كوتار (S.Gotard) في آب 1664م كان تحت أمرته جيشٌ أوربيٌ موحدٌ ، في الوقت الذي لم يكن فيه الجيش العثماني مستعداً لمواجهة هذا الحشد غير أنهم قاتلوا بقوتهم وشجاعتهم المعهودة لكن أحيط بهم فكانت الحرب سجالاً بينهم وبين الجيش الأوربي[81]، مما أضطرهم إلى التوقيع على معاهدة سلام لمدة عشرين سنة في قصبة فاشفار المجرية أو ايزنبرغ (Eisenburg بالألمانية) في 10 آب 1664م ، وقد تضمنت

هذه المعاهدة (فاشفار) عشر مواد تم فيها تأكيد معاهدة ستفاتورك 1606م وأن تدفع ألمانيا غرامات حربية رمزية وتبقى كافة القلاع التي فتحها العثمانيون بيدهم[82].

من خلال هذه المواجهة ظهر أن القوى الأوربية تملك معدات عسكرية أفضل وأن القادة الأوربيين قد تعلموا خلال حرب الثلاثين عاماً أساليب لا يعرفها العثمانيون ، ومع ذلك تم تأكيد الوجود العثماني في ترانسلفانيا وعاد أحمد كوبرلو ظافراً إلى استانبول[83]، وهكذا كان صلح (فاشفار) انتصاراً دبلوماسياً للدولة العثمانية[84].

وفي عام 1079هـ/1668م طلب حاكم القوزاق دوروشينكو حماية الدولة العثمانية بالاتفاق مع جميع القوزاق المقيمين في الجزء الجنوبي من بلاد روسيا وكانوا في ذلك الحين تابعين لبولندا فرد البولنديون بالإغارة على الأراضي العثمانية إلا أن العثمانيين تمكنوا من صدهم وتوغلوا في أراضي بولندا حتى وصلوا (لمبرك Lemberg) في بولوندا (تقع حالياً في أوكرانيا)[85]، وكان الجيش العثماني الذي يقوده السلطان محمد الرابع بنفسه عام 1672م قد استولى على قلعة كامنيك (Kaminice) وتقدم حتى لمبرك ، فطلبت بولندا الصلح فتم توقيع معاهدة صلح في قصبة بوجاس (Buezacz) في بولندا بتاريخ 18 تشرين الأول 1672م ، تعهدت فيها بولندا بدفع جزية سنوية إلى الدولة العثمانية والاعتراف باستقلال دوروشينكو وأن يصبح أقليم بودوليا الواقع بين نهري الدنيبر ودنيستر إقليماً عثمانياً[86]، إلا أن القائد البولندي جون سوبيسكي نقض صلح (بوجاس) بعد سنة أي في عام 1084هـ/1673م ، وأصر على مواصلة الحرب مع العثمانيين ، إلا أن قواته طوقت عند (زورادنو) عام 1087هـ/ 1676م وأرغم على توقيع معاهدة صلح جديدة تنازل بمقتضاها مرة أخرى عن القسم الأكبر من بولندا لأوكرانيا[87].

كما أتجه فاضل أحمد باشا كوبرلو لإكمال السيطرة على جزيرة كريت ، فأخذ يجهز الجيوش عام 1077هـ/1666م وسيرت الدولة العثمانية أساطيلها بقيادة القبطان مصطفى باشا ، كما أصدر أمره إلى باشا مصر لإرسال الفي جندي إلى الجزيرة ، وعلى الرغم من استعانة البندقية ، التي كانت لا تزال تسيطر على قلعة كريت (كانديا) ، بالدول الأوربية فإن الدولة العثمانية تمكنت من فتح القلعة[88]، وأتمت السيطرة على كريت في 1080هـ/ 1669م رغم المقاومة البرية والبحرية العنيفة التي لقيها العثمانيون[89].

وهكذا قيل أن مجد آل عثمان قد تجدد في عهد فاضل أحمد باشا كوبرلو إلا أن الدولة العثمانية خسرت بموته في 1078هـ/1676م خسارة لم يعوضها من بعده خلفه في الصدارة قره مصطفى كوبرلو[90]، وكان قبل وفاته قد وقف كتبه ووضعها في خزانة ورتب لها أربعة حفاظ وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان آنذاك ، وخمنت قيمتها بأربعين ألف قرش[91].

- قره مصطفى كوبرلو والحصار العثماني لفينا

تولى قره مصطفى باشا كوبرلو الصدارة العظمى وهو زوج أخت فاضل أحمد باشا ولم يكن كسابقه كفاءة واستعداداً كما يذكر بعض المؤرخين ، كان في الثالثة والأربعين من العمر وقد شغل الكثير من المناصب وأثناء حملات فاضل احمد باشا كوبرلو كان يقوم بمهام الوزير وكالة[92].

تضاربت المصادر في تحديد صفات الصدر الأعظم قره مصطفى باشا ، ففي الوقت الذي أشارت فيه بعضها إلى انه كان مدبراً وحازماً وعاقلاً وله محبة في قلوب العلماء والفضلاء ويحب المذاكرة العلمية وتعلم الكثير من الفنون وكان مهتماً بأحوال الرعية وتنظيم أمورهم ، إلا أنه كان عنده عجب وخيلاء[93]، وأشارت مصادر أخرى ، لا سيما كتابات مؤرخين غربيين ، إلى أن صفاته وضيعة وأنه كان مكروهاً من رجال الدولة[94]، ويبدو أن هذا التحامل من المؤرخين الغربيين على قره مصطفى باشا كان سببه قيادته الجيوش العثمانية لمحاصرة العاصمة النمساوية فينا عام 1683م وهو ما عبر عنه أحدهم: " لم يكن ليرضى بأقل من فتح فينا هدفاً لمطامعه "[95].

نجح قره مصطفى الذي واصل سياسة سلفه في إدامة النظام الداخلي والسلام فضلاً عن الحفاظ على وضع اقتصادي جيد للدولة ، كما انه أساء معاملة القوزاق ، مما دعا خان أوكرانيا إلى العصيان عام 1088هـ/1677م وطلب مساعدة روسيا التي انتهزت الفرصة فلبت طلبه ، فتكبد الجميع خسائر فادحة وبقيت الحرب بين أخذ ورد حتى عام 1092هـ/ 1681م حيث عقدت معاهدة صلح سميت (رادزين) حصلت روسيا بمقتضاها على مدينة كييف (Kiev) والمناطق المحيطة بها[96]، كما جرى التخلي عن معظم أوكرانيا وإعطاء القوزاق حقوقاً تجارية على البحر الأسود وانسحب العثمانيون من تلك المنطقة لاسيما أن التوسع غرباً كان يستحوذ على اهتمام قره مصطفى باشا[97].

وبينما كان العثمانيون يحاربون في أوكرانيا حدث تطور في بلاد المجر إذ طلب الزعيم المجري اينريش توكويلي (Enrich Toukoely) العون من الدولة العثمانية لمساعدته في إخضاع ما تبقى من المناطق المجرية الواقعة تحت الحكم النمساوي[98]، فاستجابت الدولة العثمانية لطلبه حيث خرج مصطفى كوبرلو على رأس جيش قوي ، وبعد أن انتصر عدة مرات على النمساويين قصد مدينة فينا عاصمة النمسا فحاصرها سنة 1095هـ/1683م مدة شهرين واستولى على قلاعها الأمامية كافة وهدم أسوارها بالمدافع وألغام البارود ، وبينما لم يبق له إلا الهجوم الأخير فوجئ بجيش يقوده ملك بولندا سوبيسكي[99]، وكان البابا أنو سنت الحادي عشر (Innocent XI) الذي تولى البابوية بين (1676.1689م)[100]، قد دعا الأوربيين إلى إنقاذ فينا فاستجابت البندقية وعدد من الولايات الألمانية وبولندا ، فحملت القوات التي يقودها ملك بولندا

سوبيسكي الذي أفلح في الاتصال بجيش الأمير شارل أمير اللورين ، على الجيش المحاصر وتم دحره ، وفقد العثمانيون عشرة آلاف شخص وثلاثمئة مدفع وعتاداً كثيراً ، مما دعا السلطان إلى إصدار الأمر بقتل قره مصطفى باشا[101].

ومن الجدير بالذكر أن عزل قره مصطفى ثم قتله جاء بسبب المكائد التي دبرتها أُخت السلطان . والتي كان قره مصطفى قد أعدم زوجها الخائن . مع بعض وزراء في الدولة الذين كانوا يكرهونه ، فعندما سمع أحد وزراء الدولة الحانقين على قره مصطفى بهزيمة القوات العثمانية على أسوار فينا أمسك المنديل بيده وأخذ يرقص لأن الصدر الأعظم كان شديداً عليهم ، وبدسائس هؤلاء أمر السلطان محمد الرابع بإعدامه[102].

بعد ارتداد الجيش العثماني عن فينا توالت الانتكاسات على العثمانيين إذ أخذت قوتهم العسكرية بالتراجع في أوربا ، فضلاً عن احتلال الجيوش الأوربية لأملاك واسعة للعثمانيين مما أدى إلى عقد اجتماع عام في مسجد أيا صوفيا للنظر في الوضع فقرر فيه العلماء بالاتفاق مع قائم مقام الصدارة مصطفى كوبرلو عزل السلطان محمد الرابع وتولية أخيه السلطان سليمان الثاني (1687-1691م)[103]، ومع ذلك فأن الأوضاع لم تستقر وبقت عصيانات الإنكشارية والسباهية قائمة ، فانتهز أعداء الدولة الفرصة لاسيما البندقية والنمسا وتوسعوا على حساب الدولة العثمانية[104]، مما دعا السلطان سليمان الثاني إلى أن يعقد اجتماعاً استثنائياً للديوان في ادرنه عام 1101هـ/1689م دعا فيه كبار رجال الدولة والعلماء ، ويعرف هذا الاجتماع في التاريخ العثماني بأسم (ادرنه ديواني) ، وكان قرار الديوان تعيين الابن الثاني لمحمد كوبرلو وهو فاضل مصطفى باشا صدراً أعظماً (1689-1691م)[105]، وكانت الصدارة العظمى قد أسندت إلى أشخاص من غير أسرة كوبرلو للفترة (1683.1689م) مما اربك أوضاع الدولة من جديد إذ ذهبت جهود آل كوبرلو للفترة (1656.1683م) سُدىً.

أثبت مصطفى كوبرلو من خلال إجراءاته أنه رجل إدارة من الطراز الأول ، فقبل أن يرسل الجيش إلى الحدود رجح القيام بالإصلاحات العامة[106]، وكانت أولى أعماله إصلاح الجندية ، وقد أظهر قسوة وشدة كوالده في هذا الأمر[107]، وهو أمر طبيعي لأن الفترة (1683.1689م) شهدت اضطرابات كبيرة في شؤون الدولة مما أضطره للعودة إلى سياسة والده التي لم يلجأ إليها أخوه أحمد باشا كوبرلو ، فاضطر إلى فصل مالا يقل عن (30,000) ألف إنكشاري ممن كانوا لا يصلحون لتولي هذه الوظائف وأعاد النظام إلى الجيش ولاسيما فيما يتعلق بنظام التيمار ، فقد وزع التيمارات على جنود شبان أكفاء وكلفهم بأن يواصلوا تدريبهم ، وإعداد مدارس الأقاليم لتدريب (الفرسان الإقطاعيين) وعين مفتشين مهمتهم الإشراف على تنفيذ أوامره بهذا الصدد[108].

كما حاول أن يحسن الوضع المالي للدولة من خلال تنظيم العملة[109]، واستخراج الأموال من أولئك الذين كانوا يبتزون الناس في عهد أسلافه ، ونظم الضرائب على أُسس جديدة ووزع الخراج حسب الثروة[110]، وأبطل البدع والمظالم التي أحدثت في الكمارك وسائر الأمانات والالتزامات ، وأبطل بعض الرسوم والعادات كهدايا الوزراء في مواسم الأعياد ، حتى أعترض عليه البعض لأن هذه الأمور حسب رأيهم كانت الواسطة لإنقاذ الإدارة من الأزمات المالية، إلا أن النتائج جاءت لصالح الدولة التي امتلأت خزائنها بالأموال، وحارب الرشوة وأخذ على أيدي الظالمين ، وكان جانب من موارد الدولة قد تحول إلى الأوقاف فاسترجعها وقال : " الجهاد أولى بها "[111]، كما أهتم أيضاً بالتجارة فحاول تنظيمها وقبل بمبدأ حرية التجارة وألغى تدابير المنع المتخذة سابقاً[112].

كما أهتم بالعدل ، فمنع العساكر من الاعتداء على الأهالي ومن خالف ذلك أُنزل به العقاب الصارم ، وأكد على معاملة جميع الرعايا بالحق دون اعتبار للاختلافات الدينية، وعمل على إصلاح النظام القضائي فقد كان هناك بعض القضاة الذين يتقاضون الرشوة وأصبح البعض يتخذ من شهادة الزور حرفة له ، ولم يتردد في عزل القضاة الذين تدور حولهم الشبهات[113]، كما أباح للنصارى بناء ما تهدم من كنائسهم في استانبول وعاقب أشد العقاب كل من تعرض لهم في إقامة شعائرهم ، حتى استمال جميع نصارى الدولة وكانت نتيجة هذه المعاملة أن ثار أهالي المورة والاروام على البنادقة وطردوهم لإجبارهم على اعتناق المذهب الكاثوليكي ودخلوا في حمى الدولة مختارين[114]، وقد وفق في إنجازاته ، إذ استطاع العودة بنظام الدولة إلى مستوى نظام عام 1095هـ/1683م[115].

ولما انتظم الجيش بإبعاد المفسدين وساد الأمن في البلاد سار مصطفى كوبرلو لمحاربة الأعداء فتمكن بسرعة فائقة من استرداد مدن نيش وودين وسمندرية ثم بلغراد في 1102هـ/1690م ، كما أعاد إلى أملاك الدولة أقليم ترانسلفانيا[116]، فقد استعاد مصطفى كوبرلو أراضي تزيد مساحتها على (26000) كم واستعيدت كامل صربيا والبوسنة وبلغاريا بشكل تام ورغم أن الصرب كانوا ضد العثمانيين إلا أن مصطفى باشا كوبرلو عفا عنهم ووزع البذور مجاناً على مناطق القحط وبذلك كسب ودّ الصربيين بشكل حال بينهم وبين التفكير في العصيان لفترة[117].

وعلى أثر سماع السلطان سليمان الثاني بتلك الانتصارات قدم من أدرنه إلى استانبول واستقبل الشعب مصطفى كوبرلو بمظاهر ترحيب عظيمة ، وخلع السلطان مصطفى الثاني بردته عليه ، ثم بكا ودعا له ، وقال له : " استعد لاسترداد المجر في العام المقبل " ، وقد زادت تلك الانتصارات من خوف النمسا التي عمدت إلى تحصين فينا كما أعيد تحصين بودابست[118].

عاد مصطفى كوبرلو مرة أخرى عام 1103هـ/1691م لمقاتلة النمسا واسترجاع المجر ، وكان مصطفى باشا كوبرلو في مقدمة جيشه الذي اشتبك مع العدو وكان يحرض على القتال والسيف بيده وإذا برصاصة تصيبه في رأسه[119]، فسقط في معركة سلنكمن (Solankemen) وكان قائداً للجيش النمساوي لويس فون بادن ، فدارت المعركة على العثمانيين وفقدوا (28) ألف شخص و (150) مدفعاً ، وكان لهذا الأمر أثره السيئ على الدولة العثمانية التي بقيت لمدة (4) سنوات لم يلتئم جرحها بموت مصطفى باشا كوبرلو[120].

منيت الدولة بعد موت الصدر الأعظم مصطفى باشا كوبرلو بخسارة كبيرة وكان أهمها خسارة العثمانيين أمام البندقية إذ سيطرت الأخيرة على جزيرة ساقز في 1106هـ/ 1694م[121]، وأصابت الدولة العثمانية اضطرابات كان لها خطورتها ، وأثارت السلطان احمد الثاني (1691ـ1695م) الذي أقرّ باختلال القوانين وأصدر فرماناً باسم (عدالة نامه) عام (1691-1692م) أوضح فيه أن التخلي عن قوانين السلطان سليمان القانوني كانت السبب في خراب الدولة ، ودعا إلى إبطال البدع السيئة ومعاقبة الذين يمارسون الظلم ضد الشعب[122]، مما يعني أن السلطان كان يشعر بوجود خلل كبير في دولته وأن آراءه في هذا المجال لا تختلف عن آراء المفكرين العثمانيين الذين قدموا أفكارهم حول انحطاط الدولة العثمانية.

بقيت الدولة العثمانية تعيش أوضاعاً مضطربة بعد خسارة فاضل مصطفى باشا كوبرلو ، إلا أن السلطان مصطفى الثاني (1695-1703م) عوض عن تلك الخسارة ، فأعلن هذا السلطان بعد توليه العرش بثلاثة أيام عن عزمه على قيادة جيوش الدولة بنفسه[123]، وأصدر فرماناً قال فيه: " لا يجوز لعبيد الله أن يتمتعوا بالراحة وهم على تخت السلطنة فمن الآن أُحتّم أن التلذذ والكسل سيهجر دولتي ..."[124].

تمكن الأسطول العثماني في الأيام الأولى من تولي السلطان مصطفى الثاني من استعادة ساقز من البنادقة الذين احتلوها لمدة (5) أشهر[125]، وقاد السلطان جيشه إلى بولندا واجتاحها ، كما تمكن من رفع الحصار الروسي عن آزوف ، ثم تحول إلى بلاد المجر وسيطر على حصن (لبا) وانتصر على القائد النمساوي قتزاني وأسره واستعاد طمشوار في عام 1107هـ/1695م ،وتغلب على النمساويين في عدة مواقع إلا أنه خسر أمام القائد النمساوي (اوجين دي سافوا) عند بلدة (زنتا) المجرية وقتل في تلك المعركة الصدر الأعظم الماس محمد باشا في عام 1109هـ/1697م ، وتمكن القائد النمساوي من السيطرة على البوسنة[126]، وبهذه الهزيمة ضاعت كافة قلاع المجر من العثمانيين[127].

وفي الجبهة الشمالية الشرقية ، استغلت روسيا انشغال العثمانيين في المجر، وسيطرت على آزوف وحققت بذلك موطئ قدم على البحر الأسود لأول مرة[128]، أمام تلك الأخطار أدرك السلطان مصطفى الثاني دور آل كوبرلو في النهوض بالدولة فقرر إعادة هذه الأسرة لتتولى

مركز الصدارة العظمى من جديد بعد أن خلي منها للفترة (1691-1697م) ، فحال عودته من بلاد المجر وجه الصدارة العظمى الى شخص من أسرة كوبرلو هو عموجه حسين باشا (1697-1702م)[129].

- عموجه حسين باشا كوبرلو

قاد الصدر الأعظم الجديد جيشاً إلى بلاد البوسنة وأجبر النمساويين على الانكفاء إلى ما وراء نهر الساف (Save) ورغبةً من الصدر الأعظم في إنهاء هذه الحرب وتضميد جراحات الدولة التي أيده فيها رجال الدولة الآخرين ، جرت مفاوضات للصلح مع النمسا بوساطة بريطانيا وهولندا ، وبذلك وقعّت الدولة العثمانية مضطرة على معاهدة سميت بمعاهدة كارلوفيتز (Carlowitz) مع النمسا وروسيا والبندقية[130]، وهي أول معاهدة توقعها الدولة العثمانية كقوة مهزومة[131]، وبموجب تلك المعاهدة تنازل العثمانيون للنمسا عن المجر وترانسلفانيا ولبولندا عن كل بودوليا وأوكرانيا ، واحتفظت البندقية بدلماسيا والموره ، وألغيت ضريبة الجزية التي كانت تدفعها الدول الأوربية إلى الدولة العثمانية[132].

حاول عموجه حسين كوبرلو أن ينتهز فرصة السلام لكي يوقف المعاناة التي كانت تسوق الدولة العثمانية باتجاه الانحدار السريع ، فبدأ بإصلاح الوضع الداخلي من خلال سلسلة من الإجراءات في المجالين العسكري والاقتصادي[133]، وأول إجراء قام به هو إعفاء الأهالي في مناطق الحدود ، الذين تضرروا بسبب الحروب ، من الضرائب وأرسل المعونات إلى المحتاجين منهم ، كما بذل الجهود لإلغاء الرشوة والفساد[134].

كما أهتم ببناء المساجد والمدارس والأسواق والثكنات العسكرية ورمم أسوار بلغراد وطمشوار ونيش وشحنها بالأقوات ونظر في أحوال النصارى من الرعايا فعاملهم على قدم المساواة مع المسلمين[135]، وحاول إصلاح من يتولى مهمة النسخ والكتابة في البلاط العثماني من الخطاطين والنساخين وفرض الكفاءة التي كانت سائدة في القرن السادس عشر[136]، وأصدر أوامره إلي جميع أنحاء السلطنة بأن على جميع المأمورين أن يكونوا علماء وأن يحفظوا القرآن الكريم وقواعد الدين الإسلامي ، وشدد في انتخاب المدرسين، ووضع الإدارة وقيادة الجيش تحت الرقابة الشديدة[137].

وهنا نلمس تأثيراً واضحاً لمفكري عصره ، إذ حاول أن يضع أفكارهم موضع التنفيذ، وقد كانت تلك الأفكار تدور حول التمسك بالإسلام والشرع الإسلامي كأساس للنهوض بالدولة من واقعها المتردي.

أما إصلاحاته المالية ، فبعد صلح كارلوفيتز قام بإصدار بعض الأوامر لغرض إلغاء الضرائب الزائدة وتوجيه الناس نحو الزراعة وإعمار البلاد ، كما أن تخفيض أعداد الجند أدى إلى

تحسن وضع الخزينة وحدوث استقرار مالي[138] ، واعتمد في إدارة المقاطعات أسلوب (المالكانه) ويقصد بها بيع مقاطعات الالتزام ، أي حقوق جباية الضرائب ، إلى الأشخاص مدى الحياة بدلاً من مدة محددة ، ويشبه هذا الأسلوب إقطاع التمليك إلى حد ما، عدا أن إقطاع التمليك يورث ، في حين أن المالكانه تكون للشخص مدى الحياة ولا يرثها أحد من بعده[139].

كان لصاحب المالكانه الحق في أخذ إيجار الأرض من الفلاح والبالغ (10%) أو(20%) من الحاصل باسم حصة المالكانه أو (مالكانه حصه سي) ، في حين أن بقية الضرائب التي تتراوح بين (10% . 50%) من الحاصل تؤخذ للدولة باسم حصة ديواني (ديواني حصه سي) وهذه الضرائب العائدة للدولة كان يجمعها السباهي أو الملتزم ثم أصبحت جبايتها بيد أصحاب المالكانات ، فبمرور الزمن تحولت الكثير من المالكانات إلى أملاك شبه حقيقية إذ تصّرف أصحابها بحصة الديوان (أي الدولة) ، بعد دفعهم مبلغاً سنوياً مقطوعاً للدولة مقابل ذلك[140].

كما تم تغيير دفاتر المقاطعات وفقاً للفرامين التي صدرت خلال الحرب ، وكان لإلغاء عموجه حسين باشا للضرائب التي فرضت في فترة الحرب انعكاساً على الفلاحين الذين أصبح بإمكانهم زيادة الإنتاج[141]، كما قام بتوطين القبائل الرحل اليوروك (Yoruk) في أنطاليا وأورفه بل وحتى في قبرص وحوّلهم إلى تجمعات إنتاجية ، كما بدأ بتصحيح عيار العملة[142]، وبذل الجهود لتشجيع الإنتاج الحرفي في الدولة العثمانية من أجل منافسة الإستيرادات الأوربية التي غزت الأسواق العثمانية[143].

أما في الجانب العسكري ، والذي عُدَّ من الجوانب المهمة في هذه الفترة التي بدأت الدولة العثمانية تتعرض من جديد لأحلاف صليبية ، فقد قبض على كل مثيري الاضطرابات والدسائس فقتل فريقاً منهم ونفى آخرين[144]، وكان قد أصدر أمراً في عام 1113هـ/1701م أكد فيه على أهمية الخدمات التي قدمها الانكشارية سابقاً ، ومضى إلى القول " أن الأشخاص الذين دخلوا إلى الخدمة من خارج الاوجاق[145] ، أدوا إلى فقدان الضبط والنظام في الانكشارية لذا يجب عدم قبول انضمام أي فرد من خارج الأوجاق كذلك إخراج أولئك الذين لم يخدموا في القلاع الحدودية من صنف الانكشارية "[146]، وبذلك خفضت أعداد الانكشارية من (70000) إلى (34000) ألف شخص ، كما أن جداول الرواتب للانكشارية كانت تتعرض للفحص الدقيق وتم أيضاً تخفيض أعداد منتسبي فرقة المدفعية بشكل مشابه من (6000) آلاف شخص إلى (1250) شخصاً[147]، وأفراد صنف الجبجيه وهو الصنف المكلف بحفظ الأسلحة وصيانتها إلى (2400) شخصاً ، وفي هذه الفترة أيضاً تم تخفيض أعداد فرسان القابي قولي أي التابعين للسلطان ، أما بالنسبة إلى صنف السباهية (الفرسان الإقطاعيين) فقد جرى التدقيق والسيطرة على براءات التيمار وتم إصدار براءات جديدة محل القديمة ، كما أقرّ بأن يتواجد السباهية في

السناجق التابعين لها وأن يلتحقوا بالحملات الحربية تحت لواء قادتهم عند الحاجة، كما تم فصل التيمارات التي كانت مسجلة باسم شخصين وسجل كل تيمار باسم شخص[148].

وأجرى إصلاحات على البحرية العثمانية بالتعاون مع أمير البحر حسين باشا موزمورتو ، والذي كان يؤمن بانتهاء دور المراكب المجذافيه (القادرغه)[149] ، والتي عبّر عنها بأنها أصبحت ملكاً للتاريخ ولا تفي بالحاجة ، لذا يجب استبدالها بالسفن الشراعية (الغاليون)[150]، لذلك أعدَّ حسين باشا موزموتور قانوناً جديداً للبحرية العثمانية في 1113هـ/1701م لم يطبق في حينه بسبب وفاته[151]، وقد نص هذا القانون على عدم إمكان حصول أي شخص على رتبة ضابط في البحرية العثمانية ما لم يكن أبوه ضابطاً أو جندياً حائزاً على سجل مشرّف في الأسطول الهمايوني ، وكانت هذه المادة مطبقة سابقاً من العثمانيين ، كما كانت تطبق في إنجلترا ، لكنها لم تكن مكتوبة[152].

وبموجب هذا القانون أيضاً أصبحت الرواتب تحدد على أساس المعرفة والخبرة وعلى أساس سنوات الخدمة ، وحدد القانون أيضاً الشروط التي يتم بموجبها توجيه التيمار في السناجق والأقضية التابعة إلى القبطان باشا والى أبناء أصحاب تلك الإقطاعات[153]، وفي عهده جددت قطع الأسطول وأُصلح جميع مصانع السفن وأكسبها حيوية جديدة[154]، على الرغم من أن القانون الذي وضعه حسين باشا موزمورتور لم يطبق في حياته فقد طبق في عهد أمير البحر عبد الفتاح باشا[155].

لقيت السياسة الإصلاحية للصدر الأعظم عموجه حسين باشا كوبرلو معارضة من أولئك الذين تضررت مصالحهم فأخذوا يدسون حوله وحول أعوانه ، مما أضطره إلى الاستقالة في 1014هـ/1702م بسبب تدخلات شيخ الإسلام فيض الله أفندي[156] بصورة غير قانونية في جميع أمور الدولة ، منها تدخله في التعيينات ، وتعيين أقاربه في مناصب الدولة العليا وتدخله في صلاحيات الصدر الأعظم وعرقلة نظام الدولة ، وبعد (17) يوماً من استقالة عموجه حسين باشا توفي[157]، وبموته وضع الختم على السياسة الإصلاحية التي أرساها محمد باشا كوبرلو قبل نصف قرن تقريبا.

أحدث موت عموجه حسين باشا كوبرلو من جديد شرخاً في الدولة العثمانية ، إذ تولى الصدارة العظمى أشخاص لم يكونوا بمستوى أدائه ، فقد كان الصدر الأعظم الجديد مصطفى باشا ميالاً للحرب غير راضٍ عما تم الاتفاق عليه مع الدول الأوربية وعزم على خرق معاهدة كارلوفيتز وإثارة الحرب على النمسا ، ولما شعر كبار رجال الدولة بخطورة هذا الأمر طلبوا من السلطان عزله فعزله وعيّن مكانه رامي محمد باشا ، وكان هذا شاعراً وكاتباً أشتهر في أوربا بأنه دبلوماسي كارلوفيتز القدير[158]، وقد سار على خطى عموجه حسين باشا كوبرلو ، فطفق يبطل المفاسد ويعاقب أصحاب الرشوة ويمنع المظالم فثار عليه الانكشارية وانتهى الأمر بعزله مع السلطان مصطفى الثاني ليتولى العرش العثماني السلطان أحمد الثالث (1703.1730م)[159].

أما نعمان باشا كوبرلو الذي تولى الصدارة العظمى عام 1710م فقد كان نظير أسلافه في العدل إلا أنه كان ينقصه علو أفكارهم ، وكان سبب عدم طول مدته التي استمرت شهرين فقط[160]، هو معارضته للسلطان أحمد الثالث في إسرافه ورفضه دفع معاشات الانكشارية بطرق غير مشروعة[161].

الخاتمة :

وهكذا فأن آل كوبرلو أعادوا تنظيم الدولة وقاموا خير قيام بأعباء الحكم خلال فترة توليهم الصدارة العظمى[161]، واستأصلوا المفاسد في الجيش والحكومة واستعادوا الصدق والكفاءة والنظام للدولة[162]، وإليهم يعود الفضل في إيقاف عوامل الانحلال في الدولة العثمانية حيناً من الزمن[163].

ورغم جهود آل كوبرلو هذه فأنه في الفترة التي لم يكن فيها شخص من آل كوبرلو في منصب الصدارة العظمى فأن أحوال الدولة تضطرب بشكل كبير مما يضطر الشخص الذي يتولى المنصب من آل كوبرلو أن يبدأ من جديد وهو ما عرقل كثيراً من جهودهم الإصلاحية ، ففي الوقت الذي وجد فيه فاضل أحمد كوبرلو الأمور مهيأة من والده محمد باشا كوبرلو بحيث لم يضطر إلى استخدام الشدة التي لجأ إليها والده مضطراً بسبب تداعي أحوال الدولة ، كان على مصطفى كوبرلو أن يبدأ من جديد لا سيما أن الفترة (1683- 1689م) تولى الصدارة العظمى أشخاص من غير أسرة كوبرلو لم يستطيعوا أن يقدموا للدولة شيئاً في ظرفها العصيب ، كذلك كان على عموجه حسين باشا كوبرلو أن يبدأ من جديد بعد فترة انقطاع آل كوبرلو عن الصدارة العظمى للفترة (1691.1697م).

هذه الانقطاعات قللت من جدوى الجهود التي بذلتها هذه الأسرة في إصلاح حالة الدولة ، رغم أنها أخرت انهيارها لفترة من الزمن.

هـوامش الـدراسـة

(1) احمد رفيق ، كوبريلير ، (استانبول – كتابخانه عسكري ،1331هـ) ، ص13.

(2) تولى المشيخة (1647.1649م) وقد حدثت أيام توليه المشيخة ثورة ضد السلطان إبراهيم ، قام بها الأغوات بمساندة والدة السلطان (ماه بيكر) مما أدى إلى خلعه وقد أفتى عبد الرحيم أفندي بقتل السلطان بعد عزله . ينظر: شقيرات ، المصدر السابق ، ص497.

(3) شرف ، المصدر السابق ، ص45 .

(4) رفيق ، المصدر السابق ، ص13. وحسب ما يذكر اوزوتونا فإن منصب الصدارة العظمى قد شهد (14) تعييناً بين (1640–1648م). ينظر :Oztuna , A .G . E. , SS .441-442.

(5) للتفاصيل عن الصراع بين ماه بيكر السلطانه الجدة وتارخان السلطانة الوالدة ينظر:

Salk Zade , A .G .E ,. SS .602-603; Kurat , The Ottoman Empire ... , p .505;

اوزتونا ، المصدر السابق ، ص ص496–497.

(6) برجاوي ، المصدر السابق ، ص161 . وللمزيد عن تلك الاضطرابات ينظر:

Vahid Cabuk , Kopruluier , (Istanbul , 1988), SS .13-16.

(7) نوار ، الشعوب الإسلامية ، ص159 ؛ عماد ، المصدر السابق ، ص24.

(8) الناصري ، المصدر السابق ، ص63 ؛ حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص179.

(9) Robert Liddell ,Byzantium and Istanbul , (London ,1958) , p143;

الساداتي ، المصدر السابق ، ص260.

(10) شرف ، المصدر السابق ، ص51 ؛ رفيق ، المصدر السابق ، ص14 ؛

Kurat ,The Ottoman Empire ... , p. 506.

(11) شرف ، المصدر السابق ، ص51.

(12) اوزوتونا ، المصدر السابق ، ص501.

(13) المصدر نفسه ، ص500.

(14) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص501.

(15) حسين مؤنس ، الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ط2، (القاهرة ، 1938) ، ص242.

(16) رفيق ، المصدر السابق ، ص19؛ شرف ، المصدر السابق ، ص52.

(17) حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص180 ؛ بروكلمان ، المصدر السابق ، ص516.

(18)M .de Hammer “, Repport Sur le Sixieme Volum d ,l ,Histoire Ottoman“, Journal Asiatique ,Tom .VII . Paris , 1831, p.144;

حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص180 ؛ مصطفى ، في أصول 000 ، ص153.

(19) حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص180.

(20) كان الوالي المعزول من حكم الأيالة والذي يحمل رتبة الوزارة عندما يعود إلى العاصمة يصبح في عداد وزراء القبه أو ما يسمى (وزير ديوان) . ينظر: مراد ، تاريخ العراق 000، ص90.

(21)Stanley Lan Poole , Turkey , (Beirut ,1966) , p . 221 ;

اوزتوتا ، المصدر السابق ، ص501 . اختلفت المصادر في تحديد عمره بينما يشير شرف أنه تولى وهو في الخامسة والسبعين ، يذكر الحنبلي أنه تولى وعمره (90) سنة . ينظر: شرف ، المصدر السابق ، ص53 ؛ الحنبلي ، المصدر السابق ، ص80.

(22) Hammer , op . cit , p. 144;

شرف ، المصدر السابق ، ص53 ؛ عمر ، المصدر السابق ، 112.

(23) شرف ، المصدر السابق ، ص53 . تعجب الناس أيضاً من تعيينه في المنصب وعدوا ذلك دلالة على مدى ما وصلت إليه أمور الدولة من تدهور. ينظر: رفيق ، المصدر السابق ، ص18.

(24) Karamursal , A . G .E ., S .10.

(25) Hammer , op . cit , p .144;

رفيق ، المصدر السابق ، ص16.

(26) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص112.

(27) شرف ، المصدر السابق ، ص53 ؛ عماد ، المصدر السابق ، ص24.

(28) المحبي ، المصدر السابق ، ج4، ص310.

(29) مما يحكى عنه أنه كان يؤاخي وزيراً وكان بينهما مواثيق مودة يعرفها الناس، فاستحضره إليه وقال له: " أريد قتلك اليوم" ، فقال له الوزير : " لمَ تقتلني ولم يصدر مني ما يوجب القتل وأنا على عهدك وميثاقك، فماذا يحصل من قتلي ؟ " ، فقال له كوبرلو : " أن قتلك إرهاب عظيم للقوم فأنهم سيقولون الوزير قتل أقرب الناس إليه فهو لا يتوانى في أمر القتل وبهذا القي الرعب في قلوبهم " ، فألحَّ عليه أن يترك ذلك فلم يفعل وقتله في الحال . ينظر: المصدر نفسه ، ص ص310–311.

(30) رفيق ، المصدر السابق ، ص30.

(31) Yucel ve Sevim , A .G .E. , SS .145-146.

(32) Cabuk , A . G . E ., SS . 23-24;

برجاوي ، المصدر السابق ، ص162.

(33)Cabuk , A . G . E ., S .25 ; Yucel ve Sevim , A. G . , S .146.

من الملاحظ أن هناك تناقضاً في الأمر فحين نجده حسب الرواية السابقة يقتل أقرب المقربين إليه دون ذنب يكتفي بتولية سيدي أحمد باشا على البوسنة بقصد إبعاده رغم تآمره عليه مع بعض رجال البلاط.

(34)Yucel ve Sevim , A . G . E ., S .164 .

(35) شرف ، المصدر السابق ، ص54 ؛

Yucel ve Sevim , A . G ,. S .146.

(36) تولى مشيخة الإسلام (1656–1657م) . ينظر عنه : ثريا ، المصدر السابق ، ص765 ؛ شقيرات، المصدر السابق ، ص ص535–537.

(37) رفيق ، المصدر السابق ، ص ص34–37 ؛

Cabuk , A . G . E ., S .25; Yucel ve Sevim , A . G . E ., SS .126-127.

(38) Kurat, The Ottoman Empire ..., p .508 ; Inalcik ,The Heyday ... , p.350.

(39)Kurat, The Ottoman Empire...,p.508 ; A . N . Kurat , The Reign of Muhamed IV 1648-1687 , In Cook , op . cit , p.165.

(40) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص504 . هناك من يشير أن التمردات الجلالية استمرت حتى عام 1628م . ينظر: الفصل الأول ، الموضوع الخاص بتمردات الجلالية.

(41) Karamursal , A . G . E ., S .10;

برجاوي ، المصدر السابق ، ص162.

(42) لم نجد أسم هذا الشخص في المؤلف الذي أعده شقيرات عن مشايخ الإسلام في العهد العثماني ولا نعلم إذا كان هذا فعلاً من شيوخ الإسلام أو من أحد العلماء البارزين في الدولة ، وقد ورد في أحد المصادر انه من الأشخاص الذين يتمتعون بنفوذ كبير دون الإشارة إلى وظيفته . ينظر: حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص182.

(43) المصدر نفسه .

(44) Yucel ve Sevim , A .G . E ., S .148.

(45) Kurat, The Ottoman Empire ... , p .507.

(46) Yucel ve Sevim, A . G . E ., S.152.

(47) ينظر : سامي ، المصدر السابق ، ج3، ص1975.

(48) عن هذا الأمر وعن شيخ الإسلام بولوي مصطفى أفندي (1657–1669) . ينظر: شقيرات ، المصدر السابق ، ص540–541.

(49) رفيق ، المصدر السابق ، ص 38.

(50) Yucel ve Sevim , A . G . E., S .148.

(51) شرف ، المصدر السابق ، ص64؛ مصطفى ، في أصول000، ص154؛ اوزونا ، المصدر السابق، ص504.

(52) شرف ، المصدر السابق ، ص67.

(53) المصدر نفسه ، ص54.

(54) المصدر نفسه ، ص ص64 ، 67.

(55) رفيق ، المصدر السابق ، ص47 ؛ الساداتي ، المصدر السابق ، ص261 ؛

Kurat ,The Ottoman Empire ... , p .506.

(56) Kurat ,The Ottoman Empire ... ,p .508.

(57) ريان ، المصدر السابق ، ص42 ؛ برجاوي ، المصدر السابق ، ص163.

(58) بيهم ، فلسفة التاريخ ، ص287.

(59) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص502 .

(60) Kurat , The Ottoman Empire…, p.508;

إحسان اوغلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص56.

(61)Inalcik ,The Heyday…, p.352;

بروكلمان ، المصدر السابق ، ص517.

(62) الصدفي ، المصدر السابق ، ج3، ص135 ؛

Kurat ,The Ottoman Empire…, p.509.

(63) لبيب ، تاريخ العثمانيين000، ص121 ؛ إحسان اوغلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص56.

(64) شرف ، المصدر السابق ، ص66 ؛

Mahmud , The Story…, p.228.

(65)Kurat ,The Ottoman Empire…, p.506.

(66) عمر ، المصدر السابق ، ص113.

(67) يشير أحد المصادر أنه قتل بين (50–60) ألف خلال فترة صدارته التي بلغت خمس سنوات . ينظر:

Kurat ,The Ottoman Empire…, p.506.

(68)Hammer , op . cit , p.146.

(69)عمر ، المصدر السابق ، ص113.

(70) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص505.

(71) شرف ، المصدر السابق ، ص67 ؛ الصدفي ، المصدر السابق ، ص135.

(72) لبيب ، تاريخ المسألة الشرقية ، ص38 ، اوزوتونا ، المصدر السابق ، ص505.

(73) حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص ص186–187 ؛

Kurat ,The Ottoman Empire…, p.510.

(74) Hammer , op . cit , p.145;

مصطفى ، في أصول 000، ص154.

(75) لانجر ، المصدر السابق ، ج4، ص1280.

(76) Kurat ,The Ottoman Empire…, p.510 ; Mahmud , The Story…, p.228.

(77) مصطفى ، في أصول 000، ص154. وينظر : عمر ، المصدر السابق ، ص113 . وقد تمت الإشارة إلى اختلاف المصادر في مسألة إلغاء (الدوشرمه) في المبحث الأول من هذا الفصل.

(78) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص506.

(79) عن هذا البابا ودوره في هذا الحلف الصليبي ينظر:

J . N . D . Kelly , The Oxford Dictionary of Popes , (Oxford,1986), pp.283-284.

(80) Mahmud , The Story…, p.229.

(81) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص508.

(82) Kurat ,The Ottoman Empire…, p .511; Price , op . cit , p. 64;

برجاوي ، المصدر السابق ، ص164.

(83) جون .أ . هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد 6 ، ترجمة : إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي ، (مصر ، د.ت) ، ص552.

(84) Mahmud , The Story…, p.229;

برجاوي ، المصدر السابق ، ص165.

(85) Kurat ,The Ottoman Empire…, p.512.

(86) برجاوي ، المصدر السابق ، ص166.

(87) سرهنك ، المصدر السابق ، ص958 ؛ جلال يحيى ، مصر الحديثة 1517ـ1908 ، (الإسكندرية، 1969) ، ص158.

(88) يحيى ، مصر الحديثة ، ص158 . وينظر:

Marriott , op . cit , p.114.

(89) بيهم ، فلسفة التاريخ ، ص289.

(90) المحبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص356 ؛ الساداتي ، المصدر السابق ، ص262.

(91) Kurat ,The Ottoman Empire…, p.512.

(92) ينظر : المحبي ، المصدر السابق ، ج4، ص ص397-403.

(93) ينظر عن هذه الصفات :

Hammer ,op. cit, p.146; Kurat ,The Ottoman Empire…, p.512.

(94) هامرتون ، المصدر السابق ، ص553.

(95) Kurat ,The Ottoman Empire…, p.512;

برجاوي ، المصدر السابق ، ص166.

(96) Kurat ,The Ottoman Empire…, p.512;

لانجر ، المصدر السابق ، ج4، ص1280.

(97) برجاوي ، المصدر السابق ، ص166.

(98) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط2، (بيروت ، 1977)، ص ص 136-137.

(99) Kelly,op.cit ,pp. 282-288.

(100) هامرتون ، المصدر السابق ، ص554 . وينظر:

Marriott , op . cit , p. 123.

(101) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص542.

(102) ينظر : برجاوي ، المصدر السابق ، ص ص167-168.

(03) ينظر : أرسلان ، المصدر السابق ، ص 235.

(104) حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص256.

(105)حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص257.

(106) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص85.

(107) مصطفى ، في أصول 000 ، ص158.

(108) Hitti , The Near East…, p. 343.

(109) حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص257.

(110) جودت باشا ، المصدر السابق ، ص60 ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص235.

(111) حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص257.

(112)حامد ومحسن ، المصدر السابق ، ص257؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص236.

(113) المحامي ، المصدر السابق ، ص139.

(114) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص562.

(115) برجاوي ، المصدر السابق ، ص 169.

(116) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص563.

(117) المصدر نفسه.

(118) دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص127.

(119) أرسلان ، المصدر السابق ، ص237.

(120) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص568.

(121) العريض ، مفهوم الظلم000 ، ص136.

(122) المحامي ، المصدر السابق ، ص140.

(123) دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ص127–128.

(124) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص570.

(125) برجاوي ، المصدر السابق ، ص 172.

(126) سرهنك ، المصدر السابق ، ص611.

(127) Inalcik ,The Heyday…, p.352.

وللمزيد عن السيطرة الروسية على آزوف ينظر:

Basil Dmytryshyn , A History of Russia , (New Jersey,1977) , p. 251;

محمد مظفر الأدهمي ، دراسات في التاريخ الأوربي الحديث عصر النهضة . الثورة الفرنسية ، (الرباط، 1984) ، ص80.

(128) سرهنك ، المصدر السابق ، ص611.

(129) ينظر : برجاوي ، المصدر السابق ، ص177 ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص177.

(130) شاخت ويوزورث ، المصدر السابق ، ج1 ، ص294.

(131) ينظر: لبيب ، تاريخ الأتراك ... ، ص 131؛ فيشر ، أصول التاريخ الأوربي ، ص379 ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص239.

(132) Par L. Farre , La Russie Et La Turquie , (Paris, N.d) , p. 338;

أرسلان ، المصدر السابق ، ص239.

(133) Shaw, History of the Ottoman… , p. 226;

اوزتونا ، المصدر السابق ، ص586.

(134) أرسلان ، المصدر السابق ، ص240.

(135) Shaw , History of the Ottoman… , p .226.

(136) أرسلان ، المصدر السابق ، ص240.

(137) Yucel ve Sevim , A .G . E ., S .241.

(138) يعقوب سركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد ، القسم 2 ، (بغداد، 1955) ، ص320.

(139) للمزيد عن نظام المالكانه ينظر: مراد ، تاريخ العراق000 ، ص ص303–304 ؛ عماد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق 1914–1932 ، (بغداد ، 1978) ، ص20.

(140)Yucel ve Sevim , A .G . E ., SS . 241-242.

(141) A . E. SS. 241, 242.

(142) Shaw , History of the Ottoman ... , p .225.

(143) سرهنك ، المصدر السابق ، ص612.

(144) **الأوجاق:** كلمة تركية تعني الموقد ، وكانت تطلق على فرق الانكشارية . ينظر: جب وبون، المصدر السابق ، ص87.

(145) Yucel ve Sevim , A . G . E ., S . 242.

(146) Shaw , History of the Ottoman… , p . 226 ; Levy , op . cit . p.231.

(147) Yucel ve Sevim , A . G . E ., S . 242.

(148) **القادرغه:** سفينة مقاتلة من النوع المتوسط ذات مجاذيف ، وعادة يكون عدد البحارة في سفينة من هذا النوع (300) بحار . ينظر: جب وبون ، المصدر السابق ، ص145.

(149) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص586.

(150) Yucel ve Sevim , A . G . E ., S . 243.

(151) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص587.

(152) Yucel ve Sevim , A . G. E ., S . 243.

(153) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص587.

(154) المصدر نفسه ، ص 586.

(155) تولى المشيخة مرتين : الأولى في عام 1688م ، والثانية بين 1695–1703م عزل بعدها وقتل. ينظر عنه شقيرات ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص573–581.

(156) اوزتونا ، المصدر السابق ، ص588 ؛ أرسلان ، المصدر السابق ، ص240.

(157) الصدفي ، المصدر السابق ، ص ص139–140 ؛ اوزتونا ، المصدر السابق ، ص589.

(158) الصدفي ، المصدر السابق ، ص140.

(159) Levy, op . cit , p. 245.

(160) أرسلان ، المصدر السابق ، ص242 . وللمزيد عن شخصية نعمان باشا كوبرلو ينظر: سامي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص3909.

(161) كواترت ، المصدر السابق ، ص83.

(162) Stanford .J.Shaw , Between old and New : The Ottoman Empire Under Sultan Selim III 1789-1807, (Harvard University Press ,1971) , p.6.

(163) لبيب ، تاريخ المسألة الشرقية ، ص37.